Journal of Al-Farabi for Humanity Sciences Volume (9), Issue (1) January (2026)

ISSN: 2957-3874 (Print)
Journal of Al-Farabi for Humanity Sciences (JFHS)
https://iasj.rdd.edu.iq/journals/journal/view/95
مجلة الفارابي للعلوم الإنسانية تصدرها جامعة الفارابي

البصرة في السياسة العثمانية ١٥٤٦-١٥٦٤

م.د هديل فائز حسن

جامعة سامراء/ كلية الآداب

Basra in Ottoman Politics 1546-1564

Lecturer Dr.Hadeel Faez Hassaan
University of Samarra / College of Arts
Email: hadeel.f.hassan@uosamarra.edu.iq
ORCID ID: 1581-7988-0000-0009

الملخص

تُعتبر ولاية البصرة واحدة من أبرز المناطق الاستراتيجية في القرن السادس عشر، حيث لعبت دورًا محوريًا في التوازنات السياسية والاقتصادية في منطقة الخليج العربي. تقع البصرة عند رأس الخليج، مما منحها موقعًا فريدًا ساعد العثمانيين في مواجهة التهديدات البرتغالية التي كانت تسعى لبسط نفوذها في المنطقة. كانت البصرة نقطة التقاء بين المحيط الهندي والبحر المتوسط، مما جعلها مركزًا حيويًا لتجارة التوابل والسلع الأخرى. أسهمت في تعزيز الحركة التجارية في المنطقة، حيث كانت تتوسط طرق التجارة بين الشرق والغرب، مما جذب التجار والمستثمرين في عام ١٥٤٦، قررت الدولة العثمانية فرض سيطرتها بشكل مباشر على البصرة، حيث أضعفت حكم آل مغامس من خلال حملة عسكرية قادها والي بغداد، إياس باشا. هذا التدخل كان له تأثيرات كبيرة على استقرار المنطقة. وقد شهدت البصرة عدة تحديات عسكرية، بما في ذلك التهديدات من البرتغاليين، مما استدعى تعزيز الحضور العثماني. وبالرغم من التوترات، استطاعت البصرة إقامة علاقات تجارية مع البرتغاليين لتحقيق المصالح المشتركة. هذه العلاقات كانت معقدة، حيث تداخلت التجارة مع التوترات العسكرية والسياسية. تظهر أهمية البصرة كقاعدة استراتيجية لا تقتصر فقط على كونها نقطة تجارية، بل تعتبر أيضًا عنصرًا رئيسيًا في السياسة العثمانية في المنطقة. هذا التركيز على البصرة يعكس الأبعاد الاقتصادية والعسكرية التي واجهتها الدولة العثمانية في سعيها للحفاظ على نفوذها في الشرق الأوسط. **الكلمات المفتاحية: البصرة, العثمانيون, البرتغاليون, تجارة التوابل، المحيط الهندي**

Abstract

Basra is considered one of the most prominent strategic regions in the sixteenth century, playing a pivotal role in the political and economic balances of the Arabian Gulf. Located at the head of the Gulf, Basra had a unique position that helped the Ottomans confront the Portuguese threats that sought to extend their influence in the region.Basra was a meeting point between the Indian Ocean and the Mediterranean Sea, making it a vital center for spice and other goods trade. It contributed to enhancing trade movement in the area, as it was situated along trade routes between the East and West, attracting traders and investors.In 1546, the Ottoman Empire decided to impose direct control over Basra, weakening the rule of the Al-Maghams family through a military campaign led by the Governor of Baghdad, Eyas Pasha. This intervention had significant effects on the region's stability. Basra faced several military challenges, including threats from the Portuguese, necessitating an increased Ottoman presence. Despite the tensions, Basra managed to establish trade relations with the Portuguese to achieve mutual interests. These relations were complex, as trade intertwined with military and political tensions.The importance of Basra as a strategic base goes beyond being a trade point; it is also a key element in Ottoman policy in the region. This focus on Basra reflects the economic and military dimensions that the Ottoman state faced in its efforts to maintain its influence in the Middle East. Keywords: Basra, Ottomans, Portuguese, Spice Trade, Indian Ocean

ـ المقدمة :

اكتسبت البصرة مكانة مهمة في السياسة العثمانية أواسط القرن السادس عشر الميلادي لعاملين رئيسيين، أولهما استراتيجي يتمثل في وقوعها عند رأس الخليج العربي ، وأهمية هذا الموقع في تحقيق هدفين ، الأول مواجهة الخطر البرتغالي في المنطقة ، والثاني مد النفوذ العثماني إلى شرق الجزيرة العربية . أما العامل الثاني فهو اقتصادي لكون البصرة إحدى المحطات المهمة على طريق التجارة الدولية ، وخاصة تجارة التوابل ، بين موانئ المحيط الهندي من جهة وموانئ شرقي البحر المتوسط وأوربا من جهة أخرى . وقد تم اختيار سنوات البحث على أساس أن سنة ١٥٤٦م هي التاريخ الذي فرض العثمانيون سيطرتهم المباشرة عليها ، أما سنة ١٥٦٤م فهي السنة التي أرسل فيها السلطان سليمان القانوني رسالة إلى ملك البرتغال للتوصل إلى اتفاق بخصوص العلاقات التجارية يكون في منفعة رعايا الدولتين يسلط البحث الضوء على الموضوع من خلال ثلاثة مباحث ، خٌصص الأول لتوضيح اهمية البصرة بالنسبة للعثمانيين من الناحيتين الاستراتيجية والاقتصادية . أما المبحث الثاني فيتابع مسألة امتداد النفوذ العثماني الى البصرة منذ ١٥٣٤ـ ١٥٣٥م ، ثم فرض السيطرة العثمانية المباشرة عليها سنة ١٥٤٦م. وتابع المبحث الثالث شؤون البصرة في السياسة العثمانية ، أو بتعبير آخر أبرز سمات السياسة العثمانية وأهدافها في البصرة والمناطق المجاورة اعتمد البحث على مجموعة من المصادر والمراجع ذات الصلة بالموضوع باللغات العربية والانكليزية والتركية (*) ، أمدت الباحثة بمعلومات مهمة حصل عليها مؤلفوها من الأرشيفين العثماني والبرتغالي .**(*) تتقدم الباحثة بالشكر للاستاذ الدكتور خليل علي مراد الذي تفضل بتزويدها بنسخ الكترونية من بعض الدراسات التركية والإنكليزية المهمة .**

المبحث الأول أهمية موقع البصرة بالنسبة للعثمانيين في القرن السادس عشر

دخلت البصرة ضمن دائرة الاهتمام العثماني بعد التحول الذي طرأ على حركة التوسع العثماني في العقود الأولى من القرن السادس عشر. فبعد نحو قرنين من انشغال العثمانيين بالتوسع في جبهتي أوربا والبلقان دخل المشرق العربي ضمن خطط التوسع العثمانية لأول مرة منذ عهد السلطان سليم الأول (١٥١٢ ـ ١٥٢٠م)، وابنه السلطان سليمان القانوني (١٥٢٠ ـ ١٥٦٦م). إن العوامل الأساسية التي كانت وراء التوسع العثماني في المشرق العربي تُبين لنا الأهمية التي أصبحت تحظى بها البصرة بالنسبة للدولة العثمانية في هذه المرحلة كان العامل الأول قيام الدولة الصفوية في إيران سنة ١٥٠١م على يد الشاه اسماعيل الصفوي (١٥٠١ ـ ١٥٢٤م)، والتي توسعت في غضون السنوات ١٥٠١ ـ ١٥٠٨م لتشمل معظم إيران وجنوب شرق الأناضول والعراق. وقد أثار قيام الدولة الصفوية، المختلفة مذهبياً عن الدولة العثمانية، شعورا بعدم الارتياح لدى العثمانيين بعد امتداد سيطرتها المباشرة إلى مناطق متاخمة للدولة العثمانية، إضافة إلى نشاط الدعاة الصفويون بين القبائل التركمانية في الأناضول وتحريضها ضد العثمانيين. ولم يلبث الصراع أن اندلع بين الدولتين، واتخذ طابعاً عسكرياً واقتصادياً، ومذهبياً أيضاً، إذ وقعت أول مواجهة عسكرية كبيرة بين الطرفين في موقعة جالديران (٢٣ آب ١٥١٤م)، التي انتصر فيها السلطان سليم الأول على خصمه الشاه اسماعيل الصفوي، وتبعتها سلسلة من الحروب والمعارك في فترات مختلفة حتى سقوط الدولة الصفوية في النصف الأول من القرن السابع عشر. ويرى المؤرخ البريطاني المعروف أرنولد توينبي A. J, Toynbee أن موقعة جالديران انتهت إلى نتيجة غير حاسمة، وصار واضحاً منذ ذلك الحين عدم إمكانية حل المأزق بين الدولتين من خلال هجوم يقوم به أي منهما على الآخر في عقر داره، بل تغيير ميزان القوى من خلال التوسع على حساب طرف ثالث في المنطقة أضعف من أن يكون قادراً على حماية نفسه، وهكذا اخذ الصراع بين الدولتين العثمانية والصفوية طابع السباق من أجل السيطرة على البلاد العربية المجاورة. ومن هنا كانت حملة السلطان سليم الأول ضد دولة المماليك والسيطرة على مصر وبلاد الشام في ١٥١٦ـ ١٥١٧م، كما تم إلحاق جنوب شرق الأناضول والموصل وشمال العراق بالدولة العثمانية في عهد هذا السلطان أيضاً. وقد اتضح للعثمانيين أن من غير الممكن منع الدولة الصفوية من توجيه ضربات إلى الولايات العثمانية الجديدة في بلاد الشام ومصر، ولذا كان لا بد من إقامة حاجز بوجه الصفويين يمتد من القفقاس إلى الخليج العربي، وهذا ما تحقق من خلال السيطرة العثمانية على بغداد ووسط العراق في سنة ١٥٣٤ ـ ١٥٣٥م، والبصرة وجنوب العراق في سنة ١٥٤٦م، أي في عهد السلطان سليمان القانوني (Toynbee، ١٩٦٣، ١/٣٨٧–٣٩٠). وبمعنى آخر، اكتسبت البصرة وأطرافها أهمية استراتيجية بالنسبة للعثمانيين بوصفها الجزء الجنوبي الأقصى من حاجز الصد ضد التوسع الصفوي.وكان ظهور الخطر البرتغالي في مياه المحيط الهندي، بما في ذلك البحر الأحمر والخليج العربي، العامل الآخر المهم وراء الاندفاع العثماني نحو المشرق العربي. فبعد اكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح سنة ١٤٩٨م بدأ ظهور سفن الأسطول البرتغالي في مياه المحيط الهندي وهي مجهزة بمدافع كبيرة فعّالة ، وفي غضون سنوات قليلة أنشأ البرتغاليون دولتهم في الشرق وتُعرف باسم (Estado da India) ، وذلك عن طريق بناء قلاع منيعة جبارة في مواقع استراتيجية تتحكم في العقد الرئيسية لطرق التجارة الدولية مثل عدن عند مدخل الخليج العربي، وجزيرة هرمز" كانت جزيرة هرمز مركز مملكة

تجارية مزدهرة تمتعت بثراء كبير في العصور الوسطى ، وامتد نفوذ مملكة هرمز على مناطق واسعة من الساحل الغربي من الخليج العربي وبعض جزره . واستمرت هرمز قائمة حتى الحملة المشتركة التي قامت بها سفن شركة الهند الشرقية الإنكليزية والقوات الصفوية سنة ١٦٢٢م لطرد البرتغاليين منها. وبعد أن تحقق ذلك أصدر الشاه الصفوي عباس الكبير (١٥٨٧-١٦٢٩م) أوامره بتدمير مدينة هرمز عن آخرها. " (قاسم، د.ت، ٥٢-٦٠، ١٠٢-١٠٣). عند مدخل الخليج العربي، وغوا Goa على الساحل الغربي للهند، وميناء مالقا، الذي يسيطر على مضيق مالقا الاستراتيجي بين شبه جزيرة ماليزيا وجزيرة سومطرة الأندونيسية وتتركز عبره معظم التجارة بين الصين والهند. ولم يكن الهدف من بناء هذه القلاع التحكم في طرق التجارة الدولية فقط بل الهيمنة على الحكام المحليين وإجبارهم على إعلان الولاء للبرتغال، فضلا عن تسهيل فرض الجزية عليهم. (النقيب، ١٩٨٩، ٦٤). وبالإضافة إلى هذه القلاع الأربع الأساسية نشر البرتغاليون قسم من قواتهم في العديد من الحصون المنتشرة في المنطقة، ووفقا لما ذكره أحد الباحثين فمن بين مجموع حصن برتغالي حول العالم كان حوالي ٥٠ منها في الهند وسيلان، و١١ في الشرق الأقصى وعدد قليل آخر في الخليج العربي، وكانت بعض تلك الحصون موجودة قبل البرتغاليين باستثناء حصون هرمز وبندر عباس وقشم التي بناها البرتغاليون (Matthee & Flores، ٢٠١١، ٥)كان هذا التطور ينذر بالخطر بالنسبة للقوى الإسلامية في المنطقة بشكل عام، والدولة العثمانية بشكل خاص. فالغزو البرتغالي لم يكن تهديداً عسكرياً فقط وإنما خطراً على اقتصاد المنطقة أيضاً، إذ كان هدفه احتكار تجارة التوابل بين المحيط الهندي وأوربا وتغيير مسارها نحو طريق رأس الرجاء الصالح بدل الطريقين التقليديين عبر البحر الأحمر والخليج العربي ثم موانئ البحر المتوسط فأوربا (فهمي، ١٩٧٣، ١١٧-١٥٤). ولم يكن هذا يعني إقصاء المسلمين عن دورهم الرئيس في التجارة بين الشرق والغرب فقط، بل حرمان الدول التي كانت تمر عبرها تجارة التوابل من الضرائب والرسوم التجارية "مثال ذلك ما ورد في تقرير ارسله سلمان ريس، قائد الحملة البحرية العثمانية التي انطلقت من السويس إلى اليمن وعدن، إلى الصدر الأعظم إبراهيم باشا في ٢ حزيران سنة ١٥٢٥م بأن " كل أنواع التوابل القادمة من جزر جنوبي شرق آسيا الآن تحت السيطرة البرتغالية، وأن كل هذه التوابل تذهب مباشرة إلى البرتغال. وقبل استيلاء البرتغاليين على هذه الأماكن شكلت الرسوم الجمركية على تجارة التوابل جزء كبير من مداخيل مصر " (إنالجك وكواترت، ٢٠٠٧، ٤٦٧/١-٤٦٨). إضافة إلى ذلك اتسمت سياسة البرتغاليين، المبنية على الروح الصليبية، بالكثير من التعصب والجشع في ابتزاز التجار والأمراء المحليين، والتعامل بقسوة ووحشية مع سكان موانئ وسواحل المحيط الهندي (النقيب، ١٩٨٩، ٦٦)، إضافةً إلى وجود نية مبيّتة للتغلغل في البحر الأحمر وتهديد الأماكن المقدسة في الحجاز. ويتبين ذلك من رسالة بعثها نائب الملك البرتغالي في الهند ألفونسو دي البوكيرك إلى ملك البرتغال إيمانويل الأول في ٢٠ تشرين الأول ١٥١٤م إذ جاء فيها: " إن السفرة إلى البحر الأحمر على أي حال ستكون مفيدة على أساس التوابل الثمينة التي تأتي إلى هنا سنوياً إلى هذه الأجزاء من الهند ... وبعد فتح علاقات مع برستر جون (مُصوَع) سأدمر مكة. ولهذه الأسباب صممت على الذهاب إلى البحر الأحمر وتحطيم قوة السلطان (أي السلطان المملوكي قانصوه الغوري) في هذه المياه " ٩(العدوان، ٢٠١٩، ٤٥). إن ما سبق استوجب على الدولة العثمانية، بوصفها أقوى دولة إسلامية في القرن السادس عشر، مواجهة الخطر البرتغالي في المحيط الهندي عموماً، بما في ذلك البحر الأحمر والخليج العربي. والحقيقة أن إدراك العثمانيين لخطر الغزو البرتغالي كان واضحا منذ البداية ولذلك دعموا الجهد العسكري البحري لدولة المماليك ضد الوجود البرتغالي في البحر الأحمر حتى قبل بسط السيطرة العثمانية على بلاد الشام ومصر سنة ١٥١٦ ـ ١٥١٧م "مثال ذلك الدعم الذي قدمته الدولة العثمانية سنة ١٥١١م إلى دولة المماليك لإنشاء أسطول لمواجهة البرتغاليين في المحيط الهندي. وكان من ضمن ذلك الدعم ٣٠٠ مدفع و٣٠,٠٠٠ سهم وأربعين قنطار من البارود وغير ذلك من احتياجات السفن، وقد وصلت هذه المساعدات إلى القاهرة في شهر شوال ٩١٦هـ / كانون الثاني ١٥١١م. ومما يلفت النظر ظهور ٢٠٠٠ من البحارة العثمانيين في السويس في ذلك الوقت واشتراكهم في إعداد الأسطول المملوكي الذي خرج أخيراً في حملة كبيرة ضد البرتغاليين سنة ١٥١٥م " (سالم، ١٩٩٩، ٩٤-٩٥). وبعد القضاء على دولة المماليك أصبحت الدولة العثمانية في مواجهة مباشرة مع البرتغاليين في مياه البحر الأحمر. وقد أصدر السلطان سليم الأول أمراً ببناء أسطول عثماني في ميناء السويس لمطاردة السفن البرتغالية التي كانت تجوب البحر الأحمر وتهدد الحرمين الشريفين في الحجاز (.Meirison، ٢٠٢٠، ٦). وقد أطلق العثمانيون على ذلك الأسطول تسمية أسطول البحر الأحمر Bahr-i Ahmer Filosu ، وعلى من يتولى قيادته تسمية قبطان السويس Suveys Kaptanligi في إشارة إلى اهتمام العثمانيين بمواجهة البرتغاليين في مياه البحر الأحمر . ومنذ أواسط القرن السادس عشر تغير اسم الاسطول إلى أسطول الهند Hint Donanmasi ، واسم من يتولى قيادته إلى قبطان الهند Hint Kaptanligi ، في إشارة إلى توسع نطاق اهتمامات العثمانيين البحرية لتشمل المحيط الهندي. وكان أول من تولى منصب قبطان السويس سلمان ريس ، ولا يُعرف من تولى المنصب بعد وفاته سنة ٩٣٤هـ / ١٥٢٧ ـ ١٥٢٨م . أما أول من تولى منصب قبطان الهند فكان فرهاد بك ، ويبدو أنه لم يشغله طويلاً إذ عُين والياً على اليمن سنة ١٥٤٧م ، فحل محله

في المنصب القائد البحري العثماني الشهير بيري ريس (١٤٦٥ ـ ١٥٥٣م) (Orhunlu، ١٩٧٠، ٢٣٥/٣٤-٢٣٦).ومن الجدير بالذكر هنا أن قوى إسلامية أخرى في المنطقة استنجدت بالعثمانيين للوقوف معها ضد البرتغاليين ، فعلى سبيل المثال ناشد عرب الخليج السلطان سليمان القانوني قبل حملته العسكرية على العراق سنة ١٥٣٤م إرسال قوة لمساعدتهم ضد البرتغاليين ، كما كان أعداء البرتغاليين في مضيق هرمز قد طلبوا النجدة من السلطان نفسه في السنوات ١٥٢٦م ، ١٥٢٨م و ١٥٢٩م (إنالجك وكواترت، ٢٠٠٧، ٤٨٣)مع استمرار الصراع البحري العثماني ـ البرتغالي أدرك العثمانيون أهمية إقامة قاعدة بحرية أخرى عند رأس الخليج العربي ، وبعد سيطرة السلطان سليمان القانوني على بغداد ووسط العراق في ١٥٣٤ ـ ١٥٣٥م بدت البصرة أفضل خيار لاقامة مثل تلك القاعدة . إن العلاقة بين أهمية موقع البصرة والصراع البحري ضد البرتغاليين تتبين من الرسالة التي بعثها والي بغداد أياس باشا ، الذي قاد الحملة العثمانية ضد البصرة سنة ١٥٤٦م ، إلى الشيخ علي بن عليان حاكم الجزاير "يُقصد بالجزائر هنا الأراضي اليابسة التي تحيط بها الأنهار والشطوط من كل الجهات ، ويقيم فيها سكان المنطقة من العشائر العربية ، ونهرها الرئيسي هو الفرات والترع المتفرعة عنه من الجهتين . وقد اعتنى سكانها ببناء القلاع في تلك الأراضي ، وكل من ملك قلعة أو أكثر صار يتعرف بالأمير . وسكان الجزائر مقاتلون شجعان واراضيهم صعبة المسالك ، وكان من الصعب على العثمانيين ضمان السيطرة عليها . اما عاصمة المنطقة حينئذ فكانت " ألمُدَيْنة " وهي مدينة بني منصور ، ومن أشهر عشائرها ربيعة ، ومن أفخاذها بنو أسد ، وكانت في السابق جزء من افمارة المشعشعية ، ثم آلت لآل عليان" (القهواتي، ٢٠١٥، ٢٧٦).، ومما ورد فيها " ... قبل أيام وردني أمر من حضرة السلطان [يقصد سليمان القانوني] بالسير نحو البصرة لفتحها ثم التوجه منها إلى هرمز وبلاد الهند لمحاربة البرتغاليين "(Ozbaran، ١٩٧٧، ١١٦)إضافة إلى قيام الدولة الصفوية والغزو البرتغالي كان هناك دافع آخر وراء التوسع العثماني في المشرق العربي عموماً ، وبضمنه العراق ، وهو التطلع إلى بسط سيادتهم الفعلية على طرق التجارة المهمة بين الشرق والغرب ، ولا سيما طريقي تجارة الحرير وتجارة التوابل . وبقدر تعلق الأمر بالبصرة فإنها كانت مهمة اقتصاديا من وجهة النظر العثمانية ، إذ كانت البصرة بسبب موقعها من أهم المحطات للتجارة الشرقية ، وكان بها سوق ضخم وجمرك بلغ إيراده ٤٤١,٠٠٠ دينار سنوياً في منتصف القرن الخامس عشر ، وفيها مخازن ومستودعات للمواد التجارية الشرقية والغربية ، لكن دور البصرة أخذ يتراجع تدريجيا بسبب عدم استقرار الأوضاع السياسية في العراق ، والحروب العثمانية ـ الصفوية . وعند مجيء البرتغاليين إلى الخليج العربي واحتلاهم جزيرة هرمز سنة ١٥١٥م لفت أنظارهم أهمية البصرة كمركز ومدخل تجارة الخليج العربي إلى العراق وبلاد الشام بالنسبة للعرب ، فعملوا على تحويل التجارة عنها حتى لا يلجأ العرب إلى إحيائها مرة أخرى (فهمي، ١٩٧٣، ١٢٢).. وقد وصف أحد الباحثين البصرة " بأنها كانت إحدى أهم موانئ الخليج العربي ، إضافة إلى كونها أهم محطة على الطريق التجاري الممتد من بغداد وحلب إلى الخليج العربي ، ومنها إلى الهند " (Matthee، ٢٠١٢، ٤). ويذهب المؤرخ الأمريكي المتخصص في التاريخ العثماني ألبرت لايبر A. H. Lybyer إلى ربط حملة السلطان سليمان القانوني على العراق سنة ١٥٣٤م برغبة العثمانيين في السيطرة على طريق التوابل ، إذ يقول في هذا الصدد أن " السلطان سليمان القانوني قام في ثلاثينات القرن السادس عشر بمشروعين عظيمين كانا مُصَمَمين على ما يبدو لفتح وتأمين طريق التجارة الجنوبي (يقصد تجارة التوابل) . فقد استولى على بغداد والمناطق الواقعة عند رأس الخليج العربي (يقصد البصرة وأطرافها) ، كما أرسل حملة بحرية من ميناء السويس على البحر الأحمر لطرد البرتغاليين من ديو في كوجرات (Lybeyr، ١٩١٥، ٥٨٦).

المبحث الثاني السيطرة العثمانية على البصرة سنة ١٥٤٦م

عندما سيطر العثمانيون على بغداد ووسط العراق في ١٥٣٤ـ ١٥٣٥م كانت البصرة تحت حكم أسرة آل مغامس العربية ، وهي من قبائل المنتفق الشهيرة في العراق (الحمداني، ١٩٨٧، ٦-١٨).. وتختلف المصادر في ذكر اسم أميرها العربي الذي عاصر السيطرة العثمانية على بغداد ووسط العراق ، فمنها من يسميه راشد ، ومن يسميه مغامس أو مانع (القهواتي، ٢٠١٥، ٢٧١).، لكن المرجح أن اسمه الأمير راشد (بجوي، ٢٠١٥، ٢٥٠/١-٢٥١)؛ (العزاوي، ١٩٤٩، ٤٦/٤)؛ (Ozbaran، ١٩٧٧، ١١٥).. وقد بادر إلى إرسال وفد إلى بغداد لتهنئة السلطان سليمان القانوني بمناسبة سيطرته على بغداد ووسط العراق ، ويبدو هذا الموقف طبيعيا لأنه أبعد شبح سيطرة الصفويين على البصرة ، إضافة إلى ما تعرضت له البصرة وأطرافها من مضايقات واعتداءات على يد البرتغاليين في سنة ١٥٢٩م (لوريمر، د.ت، ١٠/١)؛ (Kursun، ٢٠١٨، ٦). . وبعد حوالي أربع سنوات ، وتحديداً في أواخر صفر ٩٤٥هـ / أوائل تموز ١٥٣٨م ، استقبل السلطان سليمان القانوني في معسكره قرب أدرنة وفداً أرسله الأمير راشد يتألف من ابنه مانع ووزيره الأمير محمد وقاضي البصرة ، وكان القانوني يستعد لشن حملة عسكرية في الجبهة الأوربية . وقد حمل الوفد معه مفاتيح البصرة وهدايا ورسالة من الأمير راشد يعلن فيها الولاء للعثمانيين (Kursun، ٢٠١٨، ١٣)، فأقرَ السلطان العثماني الأمير راشد حاكماً على البصرة وأطرافها بشرط ذكر اسم السلطان في الخطبة ، وسك النقود باسمه . وبعد الأمير راشد سار

ابنه الأمير مانع على نفس النهج في التعامل مع العثمانيين . ولكن أشراف البصرة أو أعيانها عزلوا مانع بسبب حدوث بعض الاضطرابات في البصرة ، وأسندوا إدارة المدينة في سنة ١٥٤٥م إلى الشيخ يحيى بن فضل ، وهو من أبناء عمومة الأمير مانع (Kursun، ٢٠١٨، ١٣)لم يتبع الشيخ يحيى السياسة التي سار عليها الأمير راشد وابنه مانع فيما يخص العلاقات مع العثمانيين ، ووجد أن من مصلحته قطع العلاقات معهم . واتضحت نيته هذه من خلال الأفعال أيضاً ، فقد حاول عرقلة بناء قلعة من قبل العثمانيين في منطقة زكية الاستراتيجية على نهر الفرات . وعندما تم تحويل قلعة زكية إلى سنجق عثماني تابع لبغداد وتعيين خُرَم بك Hurrem Bey متصرفاً لها أذعن أمير زكية السابق السيد عامر المشعشعي للمتصرف الجديد . وبعد مدة تمرد السيد عامر ضد الإدارة العثمانية في سنجق زكية، ووصلت أنباء دعم حاكم البصرة الشيخ يحيى للتمرد إل إسطنبول (Kursun، ٢٠١٨، ١٤).. وعلى أي حال ، وصلت تعزيزات عسكرية عثمانية إلى خُرَم بك تمكن بواسطتها من إلحاق الهزيمة بالسيد عامر والقوة التي كان حاكم البصرة قد أرسلها لدعم التمرد ، وتم تثبيت السيطرة العثمانية على قلعة زكية (Ozbaran & de Lyma، ١٩٧٢، ٥٢). . وفي سنة ١٥٤٦م اتخذ الشيخ يحيى موقفا آخر غير ودي تجاه العثمانيين عندما رفض أمراً من السلطان العثماني لاعادة بعض الهاربين من وسط العراق إلى جنوبه فاستغل العثمانيون ذلك لارسال حملة بسطت سيطرتهم على البصرة وأطرافها (Ozbaran، ١٩٧١، ٥٥)كانت مساعي الشيخ يحيى للخروج عن السيطرة العثمانية في وقت غير مناسب تماما ، إذ أن وجود إدارة محلية مستقلة في البصرة كان يتعارض تماماً مع السياسة الإقليمية والبعيدة المدى للدولة العثمانية . ففي هذه الفترة بالذات كانت الدولة العثمانية تسعى إلى تحقيق مصالح مهمة في المحيط الهندي ، وأرسلت في ١٥٣٨م حملة بحرية من السويس إلى المحيط الهندي بقيادة سليمان باشا الخادم (سالم، ١٩٩٩، ١٦٠-١٦٩)، وقد كشفت هذه الحملة الهدف البعيد للدولة العثمانية في المنطقة . وبالتالي لم يكن ممكناً أن تبقى البصرة مستقلة عن مركز الدولة العثمانية لأنها كانت بمثابة بوابة أخرى إلى المحيط الهندي . وجاءت الفرصة المناسبة للعثمانيين في سنة ١٥٤٦م عندما رفض الشيخ يحيى طلباً من السلطان العثماني لإعادة بعض الهاربين من وسط العراق إلى جنوبه ، كما رفض طلباً آخر للذهاب إلى اسطنبول لأنه أدرك أن الغرض من ذلك إبعاده عن البصرة ، وربما محاكمته هناك ايضاً ، ولذلك توصل السلطان العثماني إلى قناعة فرض السيطرة المباشرة على البصرة عن طريق القوة العسكرية (Kursun، ٢٠١٨، ١٤)تم تكليف والي بغداد أياس باشا بقيادة حملة عسكرية برية ونهرية لبسط السيطرة العثمانية على البصرة وأطرافها . وقُدم الدعم لهذه الحملة من مناطق عثمانية أخرى ، من بينها الموصل إذ شارك فيها سنجق بك (أي متصرف) الموصل محمد بك على رأس قوة نهرية تتألف من ١٢٠ مركب (Ozbaran، ١٩٧١، ٥٦). وبحسب بعض الروايات كانت الحملة برمتها تتألف من ٣٠٠ مركب شراعي عن طريق نهر دجلة ، يسندها ١٠ آلاف مقاتل براً (القهواتي، ٢٠١٥، ٢٧٥).. وقد وصلت الحملة النهرية إلى القرنة وسيطرت عليها بسرعة ، كما تمكنت قوات الحملة البرية من التقدم صوب البصرة ، وبعد مناوشات بين الطرفين دخلت القوات العثمانية إلى البصرة يوم ٢١ شوال ٩٥٢هـ / ٢٦ كانون الأول ١٥٤٦م (Ozbaran، ١٩٧١، ٥٦).، أما الشيخ يحيى فقد فرَ إلى جهات نجد او الأحساء قبل دخول أياس باشا إلى البصرة ، وهكذا انتهى حكم آل مغامس في البصرة . وقد بادر أياس باشا إلى تنظيم شؤون البصرة ، وإلغاء الضرائب التي كان يجمعها الشيخ فضل ، ومكث في البصرة إلى أن عين السلطان سليمان القانوني بعض الموظفين والأمراء لادارتها ، ومن بينهم بلال محمد بك الذي عُين حاكماً عليها وأسهم في تنظيم شؤونها ، وجدَد دار ضرب النقود للمباشرة بسك النقود العثمانية فيها (القهواتي، ٢٠١٥، ٢٧٥)..

ـ شؤون البصرة في السياسة العثمانية ١٥٤٦ ـ ١٥٦٤م .عندما قرَر العثمانيون بسط سيطرتهم المباشرة على البصرة لم يكن الصدر الأعظم رستم باشا (١٥٤٤ ـ ١٥٥٣م) مع القرار ، إذ كان يعتقد أن ذلك ينطوي على ضرر للدولة العثمانية لأن البصرة لا قيمة لها بسبب كونها مدينة خربة (Ozbaran، ١٩٧٧، ١١٨). لكن الدولة العثمانية اتخذت القرار لأنها كانت تدرك مدى أهمية موقع البصرة لأهداف السياسة العثمانية في منطقة الخليج العربي ، وإمكانية توفير دخل إضافي لخزينة الدولة من خلال إعادة نشاطها ومركزها التجاري السابق . وعند متابعة شؤون البصرة في السياسة العثمانية خلال هذه السنوات نلاحظ أنها تركزت على المواضيع التالية :

أولاً ـ تعزيز السلطة العثمانية في البصرة كانت البصرة من الولايات النائية عن الدولة العثمانية ، ولم يكن من السهل السيطرة تماما على العشائر العربية في أطراف المدينة التي كانت تتمرد على السلطة العثمانية بين مدة وأخرى . ولما كانت البصرة مجاورة للدولة الصفوية فإن بعض تلك التمردات كانت تتم بتحريض من الدولة الصفوية (القهواتي، ٢٠١٥، ٢٧٦-٢٧٧). كما أن الوجود البرتغالي في الخليج العربي كان هو الآخر من أسباب تشجيع تلك التمردات ، إذ يذكر المؤرخ التركي جنكيز أورهانلو أن البرتغاليين كانوا فعَالين جداً في منطقة الخليج العربي في منتصف القرن السادس عشر ، بما في ذلك منطقة الجزائر في ولاية البصرة إذ كانوا يحرضون سكانها ضد العثمانيين (Orhunlu، ١٩٧٠، ٢٤٠).

كانت العشائر العربية الساكنة في الجزائر ، ويرد اسمهم في الوثائق العثمانية " عرب الجزائر " كانوا التحدي الأكبر للسلطة العثمانية في أطراف البصرة ، وكثيراً ما تحركوا ضد السلطة العثمانية تحت قيادة آل عليان " آل عليان من قبيلة شمر الطائية ، وتتزعم عشائر بني سعيد وبني مالك وآل أجود وبني منصور وبني أسد والمزيرعة وغيرها ، وهي قبائل المنتفق (أو المنتفك) نفسها " (القهواتي، ٢٠١٥، ٢٧٦)، الذين كانوا يتمتعون بنفوذ كبير بينهم . ففي سنة ١٥٤٦م قام علي بن عليان بالاتصال بالبرتغاليين في هرمز محذراً إياهم من مغبة الخطر العثماني ، وطلب منهم المساعدة (بيات، ٢٠٠٧، ٣١٩). وفي سنة ١٥٤٩م أعلنت العشائر العربية التمرد في أطراف البصرة واتخذت من الجزائر مركزاً لها تغير منها على مواقع الحاميات العثمانية كلما سنحت الفرصة ، ومنها الهجمة الواسعة في ١٥٤٩م بزعامة ابن عليان في محاولة لقطع الطرق التجارية من وإلى البصرة (القهواتي، ٢٠١٥، ٢٧٦). ومع ورود تعزيزات عسكرية عثمانية من ولاية بغداد اضطر ابن عليان إلى طلب الصلح وتعهد بدفع ١٥,٠٠٠ سكة ذهبية سنوياً ، لكن يبدو مما ورد في الوثائق العثمانية أنه لم يلتزم بالصلح إذ قام والي البصرة قباد باشا بحملة عسكرية في سنة ١٥٥٣م وألحق الهزيمة بابن عليان . وفي سنة ١٥٦٤م واجهت البصرة وضعاً أصعب عندما حاصرت العشائر البصرة وقلاع المُدَينه والرحمانية وفتحية في ولاية البصرة ، وكان للبرتغاليين دور في هذا الحصار . ولمواجهة هذا الوضع الخطير أرسلت الدولة العثمانية تعزيزات عسكرية من ولايات بغداد وديار بكر وشهرزور لفك الحصار عن البصرة والقلاع الأخرى(بيات، ٢٠٠٧، ٣٢٠). وعلى أي حال ، لم تتمكن الدولة العثمانية من وضع حد لمشكلة تمردات العشائر التي تكررت لاحقا ، واضطرت الدولة العثمانية إلى إسناد حكم الولاية إلى أحد الزعماء المحليين وهو أفراسياب الديري ، واستمر حكم آل أفراسياب حتى ١٦٦٨م عندما عادت السيطرة العثمانية المباشرة مجدداً على ولاية البصرة

ثانياً ـ مد النفوذ العثماني إلى الخليج العربيإن السيطرة العثمانية المباشرة على البصرة سنة ١٥٤٦م جعل منها قاعدة متقدمة لتنفيذ أهداف السياسة العثمانية في منطقة الخليج العربي ، أو خليج البصرة Basra Korvezi حسب المصادر العثمانية "أطلق العثمانيون بعد سيطرتهم على البصرة تسمية خليج البصرة Basra Korfezi ، وشاعت هذه التسمية في الوثائق العثمانية ، بل أنها مستخدمة حتى الآن في تركيا ، وترد هكذا ضمن الدراسات التاريخية التركية المعاصرة عن الخليج العربي ، ومن بينها دراسات استخدمت في هذا البحث "،(بيات، ٢٠٠٧، ٥٠٢). من خلال مد النفوذ العثماني إلى شرق الجزيرة العربية من جهة ، ومواجهة الخطر البرتغالي من جهة أُخرى بالنسبة للمساعي العثمانية لمد نفوذهم إلى شرق الجزيرة العربية يمكن القول أنها بدأت مباشرة بعد السيطرة على البصرة . ويبدو من المعلومات القليلة المتوفرة أن والي البصرة العثماني بلال محمد باشا قام في الأشهر الأولى من سنة ١٥٤٧م بالسيطرة على الأحساء وترك إدارتها لأحد الأمراء المحليين . وفي سنة ١٥٥٠ م طلب والي البصرة علي باشا من عرب القطيف تسليمه المدينة فسلموها من دون مقاومة ، فوضع العثمانيون فيها حامية عسكرية مع عدد من المدافع ، وأصبحت القطيف سنجقاً عثمانياً في السنة نفسها (Couto، ٢٠١٢، ١٥٣–١٥٧). وتذكر المصادر البرتغالية أن امتداد السيطرة العثمانية إلى القطيف ربما كان في خريف ١٥٥٠م ، وأن إدارتها أُسندت إلى مراد ريس أو مراد بيك ، ولم تحقق محاولات البرتغاليين في ١٥٥٠ ـ ١٥٥١م طرد العثمانيين منها نتيجة تُذكر (Bayatli، ٢٠٠٥، ١٦٦). أما الأحساء فقد كانت سنجقاً عثمانيا حسب ما ورد في الوثائق العثمانية لسنة ١٥٥٢م ، ثم تحولت إلى بكلر بكية ، أي ولاية عثمانية ، في سنة ١٥٥٥م (بيات، ٢٠٠٧، ٥٠٥–٥٠٩). وبالإضافة إلى الأحساء والقطيف امتد النفوذ العثماني إلى البحرين أيضاً ، فبعد امتداد السيطرة العثمانية على الأحساء أرسل حاكم البحرين مراد شاه وفودا إلى اسطنبول أكثر من مرة لعرض ولاءه على السلطان العثماني . وقد أقرَته الدولة العثمانية أميراً على البحرين ومنحته لقب حاكم ، وعدَت البحرين سنجقاً ، وتم التأكيد على الأمراء العثمانيين في المنطقة بعدم التدخل في شؤون حاكم البحرين . واستمرت علاقة العثمانيين بالبحرين على هذه الشاكلة حتى سنة ١٥٥٩م عندا قام والي الأحساء العثماني مصطفى باشا بحملة عسكرية إلى البحرين لانهاء الحكم المحلي فيها وإلحاقها بولاية الأحساء . وبحسب الوثائق العثمانية فإن مصطفى باشا قام بهذا العمل من دون علم اسطنبول ، وأن حملته هذه جعلت حاكم البحرين مراد شاه يستنجد بالبرتغاليين ، وانتهت محاولة مصطفى باشا هذه بالإخفاق (قاسم، د.ت، ٩٠). ورغم انحسار النفوذ العثماني بقيت البحرين تُشكِل منطقة عازلة بين العثمانيين في البصرة والأحساء والقطيف والبرتغاليين في هرمز والمناطق التابعة لهم في مسقط والساحل الجنوبي (Ozbaran & de Lyma، ١٩٧٢، ٤٦).

ثالثاً ـ مواجهة البرتغاليين في الخليج العربي بدأ الغزو البرتغالي للخليج العربي منذ سنة ١٥٠٧م عندما غزا القائد البرتغالي الفونسو دي البوكيرك جزيرة هرمز ذات الأهمية الاستراتيجية والتجارية عند مدخل الخليج العربي . ويبدو أنه كان يفتقر إلى القوة اللازمة للاستيلاء على الجزيرة ، فاتجه إلى الساحل العماني القريب ونهب عدد من المدن مثل خورفكان ومسقط وقريات (قاسم، د.ت، ٦٩)، وهناك من يرى أنه بسط سيطرته على هرمز لكن اضطرإلى الانسحاب منها في السنة التالية بسبب تمرد بعض بحارة أسطوله ، فضلاً عن الاستعداد للمواجهة الرئيسية مع دولة المماليك في بلاد الشام ومصر (العابد، ١٩٧٦، ٢٢–٢٣). وبعد ان صار البوكيرك نائب ملك البرتغال في الهند ، عاد في سنة ١٥١٥م مع اسطول قوي

ولم يصادف صعوبة في احتلال هرمز هذه المرة . كما استولى على جزيرة قشم إلى جانب جزء من ساحل فارس إلى الشمال والشمال الغربي من جزيرة هرمز بهدف تقوية مركزه في الخليج ، وتأمين الإمدادات من مياه الشرب والمواد الغذائية للقاعدة البرتغالية في هرمز (Ozbaran & de Lyma، ١٩٧٢، ٤٨-٥٠). وبعد مدة قصيرة وصل النفوذ البرتغالي إلى البحرين والأحساء سنة ١٥٢١م ، كما تدخلوا في البصرة لأول مرة في سنة ١٥٢٩م عندما تمرد شيخ الجزاير ضد حاكمها راشد بن مغامس الذي استنجد بالبرتغاليين . وقد استجاب القائد البرتغالي في هرمز دي ميندوزا Chrestavao de Mendoca لطلب حاكم البصرة وأرسل سفينتين حربيتين بقيادة سوسا تافاريز Belchoir de Sousa Tavares . وبعد إرغام شيخ الجزاير على الاذعان لحاكم البصرة طلب تافاريز من راشد بن مغامس تسليمه سبع مراكب من نوع فوستا ، وهي مراكب صغيرة وخفيفة ذات مجاذيف ومسلحة تسليحا جيدا (الصيرفي، ١٩٨٣، ١٤٠-١٤٣)؛ (السلمان، ٢٠٠٠، ٢٩١-٣٠٦). . وعندما رفض راشد الاستجابة قام تافاريز باحراق العديد من القرى التابعة للبصرة وعاد إلى هرمز . وبسبب سياسة البرتغاليين التعسفية في التعامل مع السكان المحليين شهدت بعض مناطق الخليج العربي انتفاضات قوية ضدهم ، ومنها انتفاضة البحرين سنة ١٥٢١م ، ومسقط وقلهات في سنة ١٥٢٦م ، والبحرين مرة أخرى سنة ١٥٢٩م (Bayatli، ٢٠٠٥، ١٦٦). وقد حدثت كل هذه التطورات قبل سنوات قليلة من حملة السلطان سليمان القانوني على بغداد ، وربما يفسر هذا وصول مبعوثين من الحويزة والقطيف والبحرين لعرض ولاء هذه المناطق على السلطان سليمان القانوني أثناء إقامته في بغداد (كانون الأول ١٥٣٤ ـ نيسان ١٥٣٥م) (Couto، ٢٠١٢، ١٥٧)وعلى الرغم من بدء الصراع البحري العثماني ـ البرتغالي بعد السيطرة العثمانية على مصر سنة ١٥١٧م ، لكن ميدان ذلك الصراع كان في البحر الأحمر أساساً ، وبدرجة أقل في المحيط الهندي ، اما الخليج العربي فكان بعيداً عن ذلك الصراع لعدم وجود تماس أو احتكاك مباشر بين الجانبين في الخليج العربي . ولكن الوضع تغير منذ سنة ١٥٤٦م فالسيطرة العثمانية المباشرة على البصرة ، وامتداد السيطرة العثمانية إلى الأحساء والقطيف ، أثارت مخاوف البرتغاليين ، لأن ذلك كان يعني فتح جبهة أخرى أمامهم في الخليج العربي . وكان رد الفعل البرتغالي محاولة إقصاء العثمانيين عن القطيف إذ أرسلوا قوة بحرية بقيادة فرانسيسكو دي ألميدا لطرد العثمانيين منها في تشرين الثاني ١٥٥٠م ، ومع أن هذه القوة تمكنت من إحراق عدد من المراكب الراسية في ميناء قطيف لكنها جوبهت بنار عثمانية كثيفة ، فعادت أدراجها إلى القاعدة البرتغالية في هرمز بعد تكبدها خسائر . وقرر البرتغاليون إرسال حملة عسكرية أكبر ضد القطيف في سنة ١٥٥١م بقيادة دي نورونها، مع هدف أبعد من ذلك وهو مهاجمة البصرة وطرد العثمانيين منها ، وبذلك يتحقق حلم البرتغاليين في نشر قوات برتغالية في شط العرب ، وهو حلم يعود إلى عهد الملك إيمانويل الأول (قاسم، د.ت، ٨٦-٨٧)؛ وكانت هذه الحملة تتألف من سبع سفن كبيرة تحمل ١٢٠٠ مقاتل برتغالي ، إضافة إلى قوات من هرمز تعدادها حوالي ٣٠٠٠ مقاتل صاحبت الحملة . وعلى الرغم من أن عدد القوات العثمانية في القطيف كان لا يتجاوز ٤٠٠ فرد لكنهم قاوموا ببسالة ، وإن كانوا قد اضطروا إلى الاستسلام بعد حصار القطيف لثمانية أيام من قبل البرتغاليين . وقد أمر دي نورنها بتدمير قلعة القطيف ثم توجه شمالاً لمهاجمة البصرة ، لكنه تراجع عن ذلك لأن والي البصرة وضع بعد خطة ذكية جعلت دي نورنها يعتقد بأن والي البصرة جمع حشودا كبيرة من أبناء القبائل العربية ضد البرتغاليين ، ولم يكتشف دي نورنها الخدعة إلا بعد عودته إلى هرمز (Ozbaran & de Lyma، ١٩٧٢، ٥٨-٥٩). وعلى أي حال ، كان نجاح حملة دي نورنها جزئياً إذ لم تستمر السيطرة البرتغالية على القطيف طويلا حيث عاد العثمانيون إليها مرة أُخرى (الصيرفي، ١٩٨٣، ١٣٢)، وإضافة إلى ذلك كانت حملة دي نورنها هذه من بين الأسباب التي دفعت العُثمانيين إلى إرسال حملة بحرية من ميناء السويس سنة ١٥٥٢م ضد البرتغاليين في هرمز لانهاء تهديدهم للبصرة والمكتسبات العثمانية الأخرى في الأحساء والقطيف . وتوجد وثائق عثمانية تُبين أن الدفاع عن البصرة أمر في غاية الأهمية بالنسبة للعثمانيين ، وأن القضاء على الوجود البرتغالي في هرمز كفيل بضمان ذلك (Couto، ٢٠١٢، ١٥٧-١٥٨). ونذكر هنا ما قاله المؤرخ العثماني إبراهيم بجوي (١٥٧٢ ـ ١٦٥٠م) عن قرار السلطان سليمان القانوني إرسال حملة بحرية كبيرة من السويس ضد البرتغاليين في هرمز ، وأهمية ذلك للدفاع عن البصرة " بعد ضم أقصى بلاد اليمن وعدن والبصرة والأحساء والأراضي الواقعة وراء تلك السواحل ، استقر في الخاطر الطيب [أي ذهن] للسلطان الرغبة في فتح جزيرة هرمز ، وذلك على أثر علم السلطان بأنها قريبة نوعا ما إلى البصرة ، وإنه يمكن إمداد ومساعدة البصرة منها، وأنها ذات أهمية لحماية تلك الحدود " ٥٧. (بجوي، ٢٠١٥، ٣٩٣)انطلقت الحملة البحرية العثمانية من ميناء السويس باتجاه هرمز في نيسان ١٥٢٢م ، وكانت تتألف من ٣٠ سفينة بقيادة بيري ريس (حاجي خليفة، ٢٠١٧، ١٢٥)؛ (الصيرفي، ١٩٨٣، ١٤٦). وفي الوقت نفسه وردت أوامر سلطانية من أسطنبول إلى والي البصرة قباد باشا في ٦ تشرين الثاني ١٥٥٢م تُبين أن الدولة العثمانية أرادت من الحملة احتلال هرمز ، ثم بسط السيطرة العثمانية المباشرة على البحرين إن أمكن (Ozbaran & de Lyma، ١٩٧٢، ٦٠).. وعندما وصلت الحملة إلى خليج عمان هاجمت قلعة مسقط التي كانت تحت سيطرة البرتغاليين منذ بداية ظهورهم في الخليج ، وفيها حامية عسكرية من ٩٠٠ جندي

برتغالي ومخزن للأسلحة ومؤن تكفيهم للصمود مدة طيلة ، لكن الحامية استسلمت بعد قصفها مدة ستة أيام متتالية ، ووقع الكثير من الجنود البرتغاليين في الأسر ، وأمر بيري ريس بتخريب القلعة قبل مغادرتها متوجهاً إلى هرمز . ومع أن الأسطول العثماني حاصر هرمز ، ودك قلعتها بالمدافع وسيطر على مجموعة من الجزر التابعة لها ، لكن لم يتمكن من اقتحام القلعة واضطر إلى رفع الحصار عنها والتوجه نحو البصرة بسبب وصول إمدادات برتغالية إلى المنطقة (حاجي خليفة، ٢٠١٧، ١٢٥-١٢٦)؛ (الصيرفي، ١٩٨٣، ١٤٦-١٤٨)؛Orhunlu) ، ١٩٧٠، ٢٣٩-٢٤٦)؛Ozbara) ، ١٩٧٧، ١٢٠-١٣٠)(ويتهم البعض بيري ريس بتلقي رشوة من قائد الحصن البرتغالي في هرمز لرفع الحصار عنها (بجوي، ٢٠١٥، ٣٩٤)، وعند وصول أسطول بيري ريس إلى البصرة أو بعد ذلك بقليل وصل أسطول الدعم البرتغالي القادم من غوا إلى هرمز وأغلق مضيق هرمز بوجه حركة السفن العثمانية ، ولما كانت إعادة الأسطول العثماني من البصرة إلى السويس مسألة محفوفة بالمخاطر بسبب صعوبة اختراق الحصار البرتغالي عند مضيق هرمز فإن بيري ريس قرَر العودة إلى السويس بثلاثة سفن فقط مع الغنائم والأسرى البرتغاليين . وفي طريق العودة فقد بيري ريس إحدى سفنه بسبب ارتطامها بالصخور ، وبعد الوصول إلى السويس توجه إلى القاهرة ، وصدر الأمر السلطاني بقتله بسبب إخفاق حملته على هرمز ، ونفذ الأمر فيه سنة ١٥٥٣م (بيات، ٢٠٠٧، ٥٠٣-٥٠٤)سعى العثمانيون إلى إعادة السفن التي تركها بيري ريس في البصرة إلى السويس بسبب الحاجة إليها في حماية البحر الأحمر . وعهدت هذه المهمة إلى مراد بك حاكم القطيف السابق ، وكانت التعليمات الممنوحة له هي تجهيز السفن في البصرة والخروج لمواجهة البرتغاليين في الخليج العربي . وقد غادر مراد بيك ميناء البصرة مع ١٧ سفينة ، وعند الوصول إلى رأس مسندم اشتبك الأسطول العثماني مع أسطول برتغالي يقوده دي نورنها . وبعد معركة حامية قُتل فيها عدد من قادة الأسطول العثماني اضطر مراد بيك إلى العودة إلى البصرة . وفي سنة ١٥٥٣م عهد السلطان العثماني المهمة نفسها إلى قائد بحري عثماني ذو خبرة في شؤون البحر وهو سيدي علي ريس ، الذي غادر اسطنبول قاصداً البصرة عن طريق حلب ـ الموصل ـ بغداد ثم البصرة . وباشر بإصلاح السفن العثمانية الراسية في ميناء البصرة ، كما بنى سفن جديدة هناك ثم أبحر منها في سنة ١٥٥٤م . وقرب رأس مسندم اشتبك الأسطول العثماني مرة أخرى مع أسطول برتغالي كبير يقوده كل من فرناندیز دي منزيسس ودي نورنها ، وانتصر الأسطول العثماني في المعركة وأغرق العديد من السفن البرتغالية . ثم تتبع العثمانيون سفن أعداءهم إلى ميناء مسقط حيث جرت معركة أخرى بين الطرفين ، لكن عاصفة قوية هبت أدت إلى تشتت العديد من سفن الأسطول العثماني وانجرافها إلى ميناء جابهار على ساحل مكران الفارسي المطل على خليج عمان . وبعد التزود بالمؤن هناك اتجه سيدي علي ريس بسفنه نحو اليمن ، ولكن عاصفة غربية قوية صادفتها عندما كانت قرب ظفار . وجرفت العاصفة السفن نحو سواحل الهند ، وهناك لجأ سيدي علي ريس إلى ملك كوجرات في الهند وسرح معظم جنوده ، وسار مع ٥٠ من أتباعه عائداً إلى الدولة العثمانية (Seydi Ali Reis، n.d، ٣٢-١٢٨)؛ (حاجي خليفة، ٢٠١٧، ١٢٦-١٣١). وهكذا انتهت هذه المرحلة من الصراع البحري العثماني ـ البرتغالي في الخليج العربي بلا نتيجة حاسمة لأي من الطرفين . ولم تشهد السنوات التي يغطيها هذا البحث مواجهات أخرى كبيرة بين الطرفين ، باستثناء ما يذكر عن محاولة برتغالية لمهاجمة البصرة في سنة ١٥٥٦م بأسطول يقوده ألفاردو، لكن الأسطول البرتغالي قابلته عاصفة عاتية جعلته عاجزاً عن التقدم صوب البصرة(لوريمر، د.ت، ١٢)؛ (إنالجك وكواترت، ٢٠٠٧، ٤٨٤)، كما تدخل الأسطول البرتغالي لنجدة حاكم البحرين مراد شاه في سنة ١٥٥٩م عندما أراد والي الأحساء مصطفى باشا إخضاع البحرين للسيطرة العثمانية المباشرة كما سبق ذكره .

رابعاً ـ السعي لانعاش تجارة التوابل عبر البصرة كانت التجارة بين منطقة المحيط الهندي من جهة وموانيء البحر المتوسط وأوربا تجري عبر أكثر من طريق قبل ظهور البرتغاليين في مياه المحيط الهندي . ومن بين أقدم تلك الطرق وأبرزها بعد سقوط القسنطينية بيد العثمانيين سنة ١٤٥٣م ، طريق الصين ـ الهند ـ الخليج العربي بحراً حتى ميناء البصرة عند رأس الخليج العربي . ثم تبدأ فروعه النهرية والبرية من البصرة إلى بغداد ، حيث يتفرع إلى فرعين : يتجه الأول شمالاً إلى ديار بكر والأناضول ، ويتجه الثاني غرباً إلى دمشق ومنها إلى موانيء البحر المتوسط (فهمي، ١٩٧٣، ١١٨).. وطريق آخر هو طريق البصرة ـ حلب الصحراوي ، ويبدأ من البصرة أيضاً ويسير غرب نهر الفرات حتى الفلوجة تقريبا ، ثم يتجه إلى حلب ، أو دمشق ، عبر الصحراء السورية (عبد الحسين وجعفر، ١٩٨٩، ٥٦-٧٦).. ويتضح من هذا أن البصرة كانت عقدة مواصلات مهمة على هذا الطريق ، كما أن ازدهار المدينة كان يتوقف أساساً على استمرار حركة النقل التجاري عبره ، مع ما يتبع ذلك من إيرادات مالية لمن يحكم البصرة من الرسوم الجمركية وضرائب الأسواق .. ولذلك كان العثمانيون يطمحون إلى استمرار التجارة بين الشرق والغرب عبر هذا الطريق والطريق الآخر الموازي عبر البحر الأحمر. ويعود هذا الطموح إلى ما قبل بسط السيطرة العثمانية المباشرة على البصرة ، إذ توجد في الأرشيف البرتغالي في لشبونة رسالة مؤرخة في تشرين الأول ١٥٤٦م من السلطان سليمان القانوني إلى دوم جوا الثالث ملك البرتغال (١٥٢١ . ١٥٥٧م) تقترح إقامة نوع من الاتفاق بين الدولتين بخصوص تدفق التجارة في المحيط الهندي ، وإمكانية إقامة علاقات تجارية مباشرة

بين الدولة العثمانية والبرتغال (Ozbaran، ١٩٩٠، ١).، وجاءت رسالة السلطان العثماني هذه في وقت كان البرتغاليون يشددون الحصار على تجارة المحيط الهندي عبر البحر الأحمر (Ozbaran، ١٩٩٠، ٣).، ولم يكن العثمانيون قد وصلوا إلى سواحل الخليج العربي بعد وبعد السيطرة العثمانية على البصرة سنة ١٥٤٦م فرض البرتغاليون حظراً على النشاط التجاري مع جنوب العراق (Couto، ٢٠١٢، ١٥٠).، وكان هذا يعني حرمان العثمانيين من منافع النشاط التجاري في البصرة لتمويل جزء من نفقات الإدارة العثمانية في البصرة والأحساء والقطيف عن طريق عوائد الرسوم الجمركية على النشاط التجاري ، والتي تشكل دخلاً مهما (Ozbaran، ١٩٧٧، ١٣٢).. ويبدو أنهم حاولوا في البداية التفاهم مع السلطات البرتغالية في هرمز لانعاش الحركة التجارية مع البصرة ، ففي سنة ١٥٤٧م بعث والي البصرة العثماني رسالة بيد تاجرمحلي اسمه الحاج فياض إلى القائد البرتغالي في هرمز مانويل دي ليما بهذا الخصوص . وتبين مضمون الرسالة العثمانية مما ذكره دي ليما في التقرير الذي بعثه بعد ذلك إلى حكومته في الهند بأن والي البصرة " مصمم على جعل البصرة مكاناً مزدهراً للتجار" (Ozbaran & de Lyma، ١٩٧٢، ٥٤). وعلى أي حال ، لم تثمر هذه المحاولة العثمانية شيئاً لسبب بسيط وهو أن البرتغاليين نظروا إلى وصول العثمانيين إليها بمثابة تهديد لهم. بعد عدم استجابة البرتغاليين لمقترحات والي البصرة استمر الصراع العثماني ـ البرتغالي في الخليج العربي . وفي المراحل الأولى من ذلك الصراع ، وتحديداً بعد فشل الحملة البرتغالية الأولى على الأحساء في تشرين الثاني ١٥٥٠م ، كتب القائد البرتغالي في هرمز الفارو دي نورنها رسالة إلى الإدارة البرتغالية في الهند ذكر فيها مسألة العلاقة مع العثمانيين في البصرة ، واستقر رأيه على ضرورة الاتصال معهم لأن نمو التجارة في البصرة وهرمز في مصلحة الطرفين ، كما أن ذلك يُجنب هرمز مخاطر هجوم عثماني عليها . ولكن توصية دي نورنها هذه لم تجد آذاناً صاغية لأن رأي المتشددين هو الذي ساد في النهاية بارسال حملة برتغالية كبيرة ضد القطيف ، ومحاولة الهجوم على البصرة وطرد العثمانيين منها (Couto، ٢٠١٢، ١٥٦–١٥٧).. وردا على ذلك قرّر العثمانيون إرسال حملة بيري ريس لاحتلال هرمز سنة ١٥٥٢م . ويربط المؤرخ البرتغالي كوتو بين حملة بيري ريس وضمان أمن البصرة وإنعاش الحركة التجارية فيها بالقول " ... إن الاستيلاء على هرمز لا يعني فقط السيطرة على موارد تجارية مهمة ، بل الأهم من ذلك أنه سيعزز التطور الاقتصادي للبصرة ، التي تنافس هرمز اقتصاديا ، كما يزيد أهمية البصرة من الناحية الاستراتيجية " (Couto، ٢٠١٢، ١٥٩)بعد مضي سنوات على بدء الصراع العثماني ـ البرتغالي في الخليج العربي أدرك الطرفان أن أي منهما لن يستطيع إنهاء وجود الآخر في المنطقة . وإضافة إلى ذلك لم يعد بإمكان البرتغال ، البلد الصغير من حيث السكان ، مواصلة القيام لحملات بحرية كبيرة في منطقة واسعة من المحيط الهندي ، وكذلك الحال بالنسبة للعثمانيين الذين أدركوا صعوبة إحراز نصر في ذلك المحيط . ومن جهة أخرى لم يتمكن البرتغاليون من ضمان احتكار التجارة في المحيط الهندي بشكل كامل بسبب توسيع التجار الآسيويون أنشطتهم التجارية خارج نطاق البرتغاليين . وكان لانتشار الفساد والرشوة والمحسوبية في الإدارة البرتغالية في الشرق ، وممارسة قسم من ضباطهم وجنودهم التجارة لحسابهم الشخصي ، دور في إضعاف قبضة الاحتكار التجاري البرتغالي (Ozbaran، ١٩٩٠، ٥). وجرت في الوقت نفسه محاولات لنوع من التفاهم أو الاتفاق بين البرتغاليين والعثمانيين في المنطقة ، إذ ذكر المؤرخ المصري المتخصص في تاريخ الخليج العربي جمال زكريا قاسم أن نائب الملك البرتغالي في الهند بعث رسولاً إلى اسطنبول في سنة ١٥٦٢م لعرض مشروع السلام بين الطرفين ، لكن لم يُقدر لهذا المشروع أن يُنفذ لأن السلطان العثماني طالب بكسر نظام الاحتكار البرتغالي ، وتأمين الطرق البحرية والبرية (قاسم، د.ت، ٩٠). وبعد سنتين من ذلك بعث السلطان العثماني سليمان القانوني رسالة إلى ملك البرتغال في سنة ١٥٦٤م طلب منه فيها إرسال سفيره دون تأخير إلى اسطنبول لبحث الموضوع ، كما طلب من الملك البرتغالي أيضا التصرف على الفور حتى يتم تحديد شروط الصداقة بين الجانبين من أجل أن " يتم تخفيف القلق والضيق عن الناس والتجار في تلك الأراضي ، وأن يعيشوا في علاقات طيبة " ، وتوجد نسخة من هذه الرسالة في الأرشيف العثماني (Ozbaran، ١٩٩٠، ١). ولا نعلم ماذا كانت نتيجة هذه الاتصالات ، لكن الباحثة التركية زينب كول تشير إلى عقد هدنة بين الطرفين سنة ١٥٦٥م دون إعطاء تفاصيل أُخرى (Calan، ٢٠٢١، ٧).ولكن الدراسات تشير إلى عودة الانتعاش التجاري إلى البصرة ، بما في ذلك التجارة مع هرمز البرتغالية التي كانت تحت السيطرة البرتغالية . وكانت أهم مشتريات البرتغاليين من البصرة الجياد ، والمنسوجات والفضة . ولم يكن انتعاش البصرة بسبب استئناف التبادل التجاري في الخليج العربي فقط ، بل لأنها كانت في هذه الفترة المركز الرئيسي للتجارة مع إيران ، ليس فقط بتبادل المنتجات المحلية وإنما البضائع الهندية أيضاً (إنالجك وكواترت، ٢٠٠٧، ٥٠٣).

ـ الخاتمة .

يتبين من هذا البحث أن الدولة العثمانية انتبهت إلى أهمية البصرة قبل دخولها تحت السيطرة العثمانية المباشرة في نهاية سنة ١٥٤٦م بسبب أهميتها من الناحيتين الاقتصادية والعسكرية . فبالنسبة للعامل الاقتصادي اشتهرت البصرة بدورها في التجارة العالمية لوقوعها على طريق تجارة

التوابل بين جنوب شرق آسيا والهند من جهة والبحر المتوسط وأوربا من جهة أخرى ، بل أن المصادر تكاد أن تتفق على أن البصرة كانت أهم محطة تجارية على طريق التوابل عبر الخليج العربي مثلما هي الحال بالنسبة لميناء السويس بالنسبة لتجارة التوابل عبر البحر الأحمر. وكانت الدولة العثمانية تأمل السيطرة على طرق التجارة الدولية التي تمر عبر المشرق العربي ومحطاتها الرئيسية ، بما فيها البصرة . لأن هذا يعني أيضاً توفير موارد مالية جديدة لخزينة الدولة من خلال الضرائب والرسوم التجارية .أما العامل العسكري فكان اهمية موقع البصرة الاستراتيجي ، لأنها تجاور الدولة الصفوية في إيران ، ولأنها قاعدة مهمة عند رأس الخليج العربي يمكن مد السيطرة العثمانية منها إلى الخليج العربي ، وكذلك اتخاذها قاعدة لمواجهة الخطر البرتغالي في المنطقة . ونتيجة لما سبق خططت الدولة العثمانية لفرض سيطرتها المباشرة على البصرة في سنة ١٥٤٦م وبعد فرض السيطرة العثمانية المباشرة على البصرة تحرك العثمانيون لتحقيق اهداف سياستهم في البصرة وهي :

١ ـ تعزيز السلطة العثمانية في البصرة وأطرافها بسبب الطبيعة العشائرية للمنطقة ووقوف العشائر ضد السلطة العثمانية من وقت لآخر . ولم تتمكن الدولة العثمانية من وضع حد لهذه المشكلة ، التي استمرت حتى وقت متأخر من الحكم العثماني في البصرة .

٢ ـ مد النفوذ أو السيطرة العثمانية إلى شرق الجزيرة العربية ، وهذا ما تحقق إذ امتدت السيطرة العثمانية على الأحساء والقطيف ، كما دخلت البحرين في دائرة النفوذ العثماني.

٣ ـ مواجهة البرتغاليين في الخليج العربي عسكرياً لطردهم من المنطقة ، وقد حدثت فعلاً معارك ومواجهات بحرية متفرقة بين الطرفين لكنها لم تحسم الصراع لمصلحة أي منهما .

٤ . السعي لانعاش تجارة البصرة بصورة عامة ، وتجارة التوابل بصورة خاصة . وقد أراد العثمانيون التوصل إلى حل مع البرتغاليين بعد سيطرتهم على البصرة مباشرةً لكن البرتغاليين لم يستجيبوا لذلك . ثم عاد الطرفان بعد سنوات من المواجهة إلى الدبلوماسية والوصول إلى اتفاق بشأن التجارة يضمن منفعة الطرفين ، وهذا تحقق في منتصف ستينات القرن السادس عشر إذ عادت الحركة التجارية إلى الانتعاش في البصرة .

قائمة المصادر

المصادر العربية:

- بجوي، إبراهيم .(2015) .تاريخ بجوي إبراهيم أفندي (ج١). ترجمة وتقديم ناصر عبد الرحيم حسين. القاهرة: المركز القومي للترجمة.
- بيات، فاضل .(2007) .الدولة العثمانية في المجال العربي: دراسة تاريخية في الأوضاع الإدارية في ضوء الوثائق والمصادر العثمانية حصراً "مطلع العهد العثماني – أواسط القرن التاسع عشر ."بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.
- القهواتي، حسين محمد .(2015) .العراق في عهد الاحتلالين الصفويين وما بين الاحتلالين العثمانيين ٩١٤-١٠٤٨هـ / ١٥٠٨-١٦٣٨م . عمان: دار ورد الأردنية للنشر والتوزيع.
- جمال زكريا قاسم. (د.ت) .الخليج العربي: دراسة لتاريخ الإمارات العربية في عصر التوسع الأوروبي الأول ١٥٠٧-١٨٤٠م .القاهرة: دار الفكر العربي.
- خليل إنالجك ودونالد كواترت .(2007) .التاريخ الاقتصادي الاجتماعي للدولة العثمانية، ١٣٠٠-١٦٠٠ (ترجمة عبد اللطيف الحارس). بيروت: دار المدار الإسلامي.
- النقيب خلدون حسن .(1989) .المجتمع والدولة في الخليج والجزيرة العربية من منظور مختلف (ط٢). بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.
- سالم سيد مصطفى .(1999) .الفتح العثماني الأول لليمن ١٥٣٨-١٦٣٥م (ط٥). القاهرة: دار الأمين للطباعة والنشر.
- صالح محمد العابد .(1976) .دور القواسم في الخليج العربي ١٧٤٧-١٨٢٠ .بغداد: مطبعة العاني.
- العزاوي عباس .(1949) .تاريخ العراق بين احتلالين (ج٤). بغداد.
- عبد الحسين، فلاح، ومصطفى عباس جعفر. (١٩٨٩). "طريق بصرة – حلب للقوافل التجارية كما وصفها الرحالة الأوروبيون في العصر الحديث ."مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية، ١٥(58)، ٥٦-٧٦.
- عصام محمد علي العدوان. (٢٠١٩). "الصراع العثماني – البرتغالي البحري في القرن السادس عشر ."مجلة جامعة القدس المفتوحة للبحوث الإنسانية والاجتماعية، (51)، ٤٥.
- قاسم، جمال زكريا. (د.ت) .الخليج العربي: دراسة لتاريخ الإمارات العربية في عصر التوسع الأوروبي الأول ١٥٠٧-١٨٤٠م .القاهرة: دار الفكر العربي.

• الصيرفي نوال حمزة يوسف .(1983) .النفوذ البرتغالي في الخليج العربي في القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي .الرياض: مطبوعات دارة الملك عبد العزيز.

• فهمي نعيم زكي .(1973) .طرق التجارة ومحطاتها بين الشرق والغرب أواخر العصور الوسطى .القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

المصادر الأجنبية:

• Arnold, J. T. (1963). *A Study of History*. Oxford.
• Couto, D. (n.d.). "The Portuguese–Ottoman Rivalry in the Persian Gulf in Mid-Sixteenth Century: The Siege of Hormuz 1552." In Matthee & Flores (Eds.), *Portugal, The Persian Gulf and Safavid Persia*. Peeters.
• Kursun, Z. (2018). "Osmanli Devleti'nin Basra Korfezi Siyaseti: Bagdat, Basra ve Lahsa Beylerbeylikleri (1534-1672)." *FSM Ilmi Arastirmalar Insan ve Toplum Bilimleri Dergisi, (12)*, 6-14.
• Lybeyr, A. H. (1915). "The Ottoman Turks and the Roads of Oriental Trade." *The English Historical Review, 30*(120), 586.
• Matthee, R., & Flores, J. (Eds.). (2011). *Portugal, The Persian Gulf and Safavid Persia*. Peeters.
• Meirison, D. S., & Yusna, D. (2020). "Ottoman Trade Policy in Europe and Asia." *Al-Falah Journal of Islamic Economics, 5*(1), 6.
• Orhunlu, G. (1970). "Hint Kaptanligi ve Piri Reis." *Belleten, 34*(134), 235-236.
• Ozbaran, S. (1972). "The Ottoman Turks and the Portuguese in the Persian Gulf 1534-1581." *Journal of Asian History, 6*(1), 52.
• Ozbaran, S. (1977). "Osmanli Imparatorlugu ve Hindistan Yolu." *Tarih Dergisi, 31*, 116.
• Ozbaran, S. (1990). "Ottoman Empire and the Spice Routes in the 16th Century." *International Seminar for UNESCO Integral Study of the Silk Routes*. Izmir, Turkey.
• Zeynep, G. E. C. (2021). "Basra Korfezi'nde Osmanli Imparaturlugu ve Denizasiri Gucler 1517-1744." In Engin Koc (Ed.), *Turkiye ve Korfez Ulkeleri Iliskileri, Dis Politika, Guvenlik ve Ekonomi*. Canakkale: Paradigma Academi.

ترجمة المصادر العربية

• Bajawi, I. (2015). *The History of Bajawi Ibrahim Effendi* (Vol. 1). Translated and presented by Nasser Abdel Rahim Hussein. Cairo: National Center for Translation.
• Bayat, F. (2007). *The Ottoman State in the Arab Domain: A Historical Study of Administrative Conditions in Light of Ottoman Documents and Sources "From the Beginning of the Ottoman Era to the Mid-Nineteenth Century"*. Beirut: Center for Arab Unity Studies.
• Al-Qahwati, H. M. (2015). *Iraq Under the Two Safavid Occupations and Between the Two Ottoman Occupations, 914-1048 AH / 1508-1638 AD*. Amman: Ward Jordanian Publishing and Distribution House.
• Gamal Zakaria Qasim. (n.d.). *The Arabian Gulf: A Study of the History of the Emirates in the First Phase of European Expansion, 1507-1840 AD*. Cairo: Dar Al-Fikr Al-Arabi.
• Inalcik, H., & Quataert, D. (2007). *The Socio-Economic History of the Ottoman Empire, 1300-1600* (Translated by Abdul Latif Al-Hares). Beirut: Al-Madar Al-Islami.
• Khaldoun Hassan Al-Naqeeb. (1989). *Society and State in the Gulf and the Arabian Peninsula from a Different Perspective* (2nd ed.). Beirut: Center for Arab Unity Studies.
• Said Mustafa Salem. (1999). *The First Ottoman Conquest of Yemen, 1538-1635 AD* (5th ed.). Cairo: Dar Al-Amin for Printing and Publishing.
• Saleh Mohammed Al-Abed. (1976). *The Role of the Qawasim in the Arabian Gulf, 1747-1820*. Baghdad:
• Abbas Al-Azzawi. (1949). *The History of Iraq Between Two Occupations* (Vol. 4). Baghdad.
• Abdel Hussein, F., & Mustafa Abbas Jaafar. (1989). "The Basra–Aleppo Caravan Route as Described by European Travelers in the Modern Era." *Journal of Gulf and Arabian Peninsula Studies, 15*(58), 56-76.
• Issam Mohammed Ali Al-Adwan. (2019). "The Ottoman-Portuguese Naval Conflict in the Sixteenth Century." *Al-Quds Open University Journal for Humanities and Social Research, (51)*, 45.
• Qasim, G. Z. (n.d.). *The Arabian Gulf: A Study of the History of the Emirates in the First Phase of European Expansion, 1507-1840 AD*. Cairo: Dar Al-Fikr Al-Arabi.
• Nawal Hamza Yousef Al-Sirafi. (1983). *Portuguese Influence in the Arabian Gulf in the Tenth Century AH / Sixteenth Century AD*. Riyadh: King Abdul Aziz Foundation for Research and Archives.
• Naeem Zaki Fahmy. (1973). *Trade Routes and Their Stations Between the East and the West in the Late Middle Ages*. Cairo: Egyptian General Book Organization.